

سابقة الأدب العربي

١ - ديوان حافظ إبراهيم

للدكتور زكي مبارك

تمهيد - شاعر النصر وشاعر الشعب - دسائس
أدبية - ميدان حافظ - هزيمة حافظ - عريضة
اتهم - هزائم فظيمة - قصيدة قصر الزعفران

تمهيد :

الفرز لسابقة هذا العام هو الجزء الثاني . ومن الخير أن يرجع المتسابقون إلى مجموعة السنة الماضية من مجلة الرسالة ، ففيها تفاصيل عن شاعرية حافظ لا نملك تلخيصها في هذا الحديث ، وفيها أيضاً تفاصيل عن شاعرية شوقي ، تفاصيل تكمل الدراسات التي قدمناها في الأسابيع السوالت ، وتوضح اتجاهات شوقي في طوائف من الأغراض

الصياحيات

أهم أبواب الجزء الثاني من ديوان حافظ هو باب السياسيات ، وسيُسأل فيه المتسابقون بكل تأكيد ، لأن الجانب السياسي من شعر حافظ هو أبرز الجوانب في حياته الشعرية ، فمن الواجب أن يجعله المتسابقون أول ما يدرسون بعناية وتدقيق

شاعر القصر وشاعر الشعب

لم تكن الحياة المصرية قبل الحرب الماضية شبيهة بالحياة التي جددت بعد تلك الحرب ، ومعنى هذا أن أيام الخديو عباس تختلف عن أيام الملك فؤاد ؛ ففي عهد عباس كان للقصر شعراء وللشعب شعراء ، ولا كذلك الحال في عهد فؤاد ، فقد أراد القصر أن يحول الشعر إلى وجهة قومية ، ولم يقبل الملك فؤاد أن يكون له شعراء بالمعنى المروف لعهود الخديو عباس ، وإن كان تنازلي عن دعوى الشاعر عبد الحليم المصري رعاية لما كان عليه من أدب وإخلاص

وسائس أدبية

أنا مقبل على تسجيل حقائق لم تُسجَل قبل اليوم ، ولن يعرفها التاريخ الأدبي إلا عن طريق هذه الأحاديث ، وما يدعوني

إلى تسجيلها إلا الخوف من أن تضيق

شعر حافظ السياسي يبتدىء في سنة ١٩٠٤ ، وشعر شوقي

السياسي يبتدىء في سنة ١٨٩٤ ، وقد انتهيا معاً في سنة ١٩٣٢

عليهما أطيب الرحمتا

فكيف صار شوقي وحده شاعر القصر ؟ وكيف اكتفى

حافظ بأن يكون شاعر الشعب ؟

يرجع السبب إلى أن شوقي كان مغطوراً على حاسة سميتها

منذ سنين « حاسة المعاش » وهي حاسة ورثها عن أبويه ، وكان

لها بالقصر اتصال ، وشوقي نفسه قال كلاماً يؤيد هذا المعنى في

مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات ، وهي مقدمة تجاهاها شوقي

فيما بعد ، وتتمنى أن تضيق من ذاكرة التاريخ ، ولكن هيئات

كانت في عيني شوقي علة شعرية هي النظر دائماً إلى السماء ،

علة تمنعه من أن يرى ما بين يديه ، ثم اتفق أن زارت جدته

الخديو إسماعيل وهو معها ، وكان طفلاً رائع الجمال ، فسألها

الخديو عن أحوال ذلك الطفل الجميل ، فقالت بتحسر وتوجع :

إن في عينيه آفة تمنعه من رؤية الأرض ؛ ففسر الخديو بكرة

من النقود الذهبية على البساط ، فاعتدلت عينا الطفل وأقبل على

الذهب يجمعه بشراهة نادرة المثال

قال إسماعيل : هذا دواء هاتين العينين المليتين !

فأجابت الجدة : ولكنه دواء لا يوجد إلا في صيدلية

إسماعيل !

وعرف أهل الطفل دواء عينيه فكانوا ينثرون ما يملكون

من النقود لينظر إلى الأرض ، عساه يستريح من إدمان النظر

إلى السماء

وشب الطفل وصار له حمار يمتطيه في المعربات ، يوم كان

القاهريون يفتنون :

« أحب مني المصاري لاجل ما أشوفك »

وكانت « دار شوقي » في تلك الأيام تقرب من « دار الرسالة »

في هذه الأيام ، ولم يكن له بد من عبور ميدان عابدين وهو على

صهوة حمارة في زهرة الأصيل

وغلبت شوقي علة عينيه فنظر إلى فوق ، فلمح الخديو

توفيق في إحدى الشرفات ، فنزل عن حمارة وعبر الميدان على

قدميه . وراع الخديو أن يرى شاباً يراعي هذا المعنى ، فقرر

أن يدعوه إليه بلا تسويف ، ليشره بوظيفة في ديوان المعية

وما كانت اليابان أقرب إلينا في الوجوه والأفكار من إيطاليا أو فرنسا ، ولا كانت لنا باليابان صلات أدبية أو اقتصادية ، وإنما كانت اليابان في الاصطلاح الجغرافي أمة شرقية ، وكان المهم هو إفهام الشعب أن الشرق يستطيع مجازاة الغرب في جميع الميادين إن تسلح بأسلحة هذا الزمان . ولهذا السبب سارع الزعيم الوطني مصطفى كامل فألف كتاباً عن نهضة اليابان ليضرب لقومه الأمثال

هزيمة حافظ

كان حافظ أطال القول في شكوى البؤس ، فعينه الوزير حشمت باشا في وظيفة بدار الكتب المصرية ، فسكت عن أغلبيه الوطنية ، وعهد ذلك كثرت فيه الأقاويل ، وجالت في غزوه الأسنة والأقلام كل مجال ثم جاءت فرصة مشثومة عليه ، هي ظهور ثلاث قصائد في يوم واحد بجريدة الأهرام عند اعتلاء السلطان حسين كامل أريكه العرش : قصيدة أحمد شوقي وقصيدة حافظ إبراهيم وقصيدة أحمد نسيم

كانت الحرب في تلك الأيام تجتاز مسالك شوائك ، خاف حافظ وخاف نسيم عواقب المشي على الشوك . أما شوقي فهتف بقصيدة رمزية شغلت الجماهير بالتفسير والتأويل ، فعده المصريون شاعراً الأول ، وزادوا إيماناً بعبقريته حين رأوا أن تلك القصيدة قضت عليه بالخروج من البلاد

وكان في مصر جريدة أسبوعية اسمها «عكاظ» ، وقدر رأى صاحبها الشيخ فهم قنديل أن يتودد إلى الجمهور بنشر ما طوى من أشعار شوقي ، ولم يكن يكتفي بتسميته «أمير الشعراء» وإنما كان يسميه «شاعر الدنيا والآخرة» فحفظ سمته الشعرية في أعوام الحرب الماضية ، وعطر باسمه جميع الأندية الأدبية

وفي ثورة سنة ١٩١٩ تخاذل حافظ فلم ينطق بحرف دخلت الأزهر ذات مساء فسمعت خطيباً يمين عليه التخاذل ، فتلوت النبر وفنتت اتهامات ذلك الخطيب وفي اليوم التالي لقيت حافظاً بمنزل محمود باشا سليمان ، فقال له حفي بك محمود : هل تعرف يا حافظ بك أن الأستاذ مبارك دافع عنك في الليلة الماضية ؟

فأدار حافظ بصره إلى وقال : ماذا تريدون مني ؟

لا يعرف أحدٌ كيف كان شوقي في ذلك الوقت ، ولكني أعرف كيف رأيته بعد نحو ثلاثين سنة من ذلك التاريخ ، حين عاد من منفاه ، وحين تفضل عبد اللطيف بك الصوفاني بجمع بيننا في حفلة عشاء بالدار التي أجعل ما صنعت بها الأيام ! هالتي أن أرى شوقي الذي كان أمير الشعراء قبل أن تواجه عيناي نور الوجود قد احتفظ من أطلال صباه بثنتين ترينان خديه عند الابتسام ، وأى ابتسام ؟

وأقول بصراحة إنني لم أر وجهاً أجمل من وجه شوقي ، ولا روحاً ألطف من روح شوقي

ولكن هذا الجمال الجسدي والروحي كانت له غدرات ، منها حب التفرد بالسيطرة والاستلاء ... وهنا بيت القصيد ! كان شوقي يحب أن يكون وحده شاعر القصر في عهد عباس . وقد تسبب للقصر في متاعب ، فقد دخل لورد كرومر على الخديو عباس وهو غضبان ، وحجته أنه علم أن أحمد شوقي وعلى فهمي كامل يدبران أموراً لا يجوز عليها السكوت ، والخديو عنهما مسئول مسئول . وما أحب أن أزيد !

هل كان شوقي الذي يحارب أنجلترا في السريهادن خصومه من الشعراء ؟

وهل كان يسمح بأن يكون لخصومه ومنافسيه في قلب الخديو مكان ؟

ارجعوا إلى ما كتب فضيلة الشيخ عبد القادر المغربي في مجلة الرسالة منذ سنين لتروا كيف استطاع شوقي أن يمنع كرم الخديو عباس عن الشيخ عبد المحسن الكاظمي ، ثم ابجثوا بعد ذلك عن السر في عطف الشيخ محمد عبده على الشيخ الكاظمي ، فانا أفرض أن الفتور بين الخديو والمفتي كان له أثر في تقوية ذلك العطف الرفيق .

صبره حافظ

لم يستطع حافظ مجازاة شوقي في الحياة الرسمية ، فأنحاز إلى ميدان الوطنية ، وصار بعد قليل شاعر الشعب ، الشاعر الأول المحبوب ، وكان الاتجاه الشعبي صريحاً في مقاومة الاحتلال ، وصريحاً في تقوية الأواصر الإسلامية ، فكان لحافظ قصيدة في كل مناسبة وطنية ، وقصيدة في كل مناسبة دينية . ولم يفته أن يثني في أشعاره بأكثر أم الشرق ، ولا سوا اليابان ،

أراد أن يؤلف جماعة من الشعراء يسميهم « شعراء القصر »
فلم يظفر بغير الإخفاق

دعاني حافظ ذات يوم إلى موافاته بقهوة النيربار ليحدثني
في مسألة خصوصية ، وكان الغرض أن يدعوني للانضمام إلى تلك
الجماعة الشعرية ، فاعتذرت بأن شيطاني لا يوافيني إلا في ميدان
الغزل والتشبيب ، ومن الصعب علي أن أنظم شعراً في غير هذا
الميدان ، وأنا تلميذ عمر بن أبي ربيعة ، ولم يكن عمر يجيد
مدح الملوك

قال حافظ : أنت أحق يا مبارك !
قلت : علمني يا معلمي كيف أداوي هذا الحق
قال حافظ : ستمدح فؤاداً العظيم

قلت : أمدحه أجزل المدح بالنثر لا بالشعر ، فأقول فيه
أعظم مما تقول ، والآفة الوحيدة هي آفة شيطاني ، وهو
لا يوحى إلي من الشعر غير الغزل والتشبيب ، ولو كان أمري
بيدي لنظمت القصائد الطوال في مدح الملك فؤاد ، فهو في نظري
أعظم الملوك

قال حافظ : أتكون أصدق مني؟

قلت : إني لا أجود بغير ما أمك ، وطاقتي الشعرية
لا تسمح بغير ذلك الفن الذي تعرف . فهل تريد أن تفضحني
بين الشعراء ؟
ثم ؟ ثم ؟

ثم غدر الشعاعرون بحافظ فورطوه في متاعب أفسدت
ما بينه وبين القصر لإفساداً ليس بعده صلاح ، وسأحدث عن
هذه النقطة السوداء بعد حين !

قصيدة قصر الزعفران

هي قصيدة غابت عن الأستاذ أحمد بك أمين وهو يجمع
ديوان حافظ إبراهيم ، وهي بشهادة حافظ نفسه أروع ما صدر
عن موهبته الشعرية

فما حديث تلك القصيدة ؟

في سنة ١٩٢٥ تحولت الجامعة المصرية إلى جامعة أميرية ،
واختير لها قصر الزعفران ، وفكرت وزارة المعارف في إقامة
حفلة رسمية لافتتاح الجامعة في عهدها الجديد ، وكانت التقاليد

قلت : تريد فصائد وطنية

قال : والاعتقال ؟

قلت : وما حظير الاعتقال ؟

فأجاب في هدوء : لن أجد في المعتقل هذا السيجار « وكان
في يده سيجار »

فقلت : لن تكون شاعر مصر الوطني وأنت أسير هذا
السيجار البنيض !

عريضة إبراهيم

الغرض من هذه الدراسات هو إرشاد المتسابقين إلى إدراك
السرائر من الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربي ، وأنا قلت
إن حافظاً تحاذل عن الثورة فلم يتعلق بحرف ، ونحن في مقام
التأريخ وهو مقام يوجب الصدق ، فليُنظر المتسابقون في ص ٨٧
بالجزء الثاني من ديوان حافظ ، ليروا أن قصيدته التي نظمها
عن مظاهرة السيدات في سنة ١٩١٩ لم تُنشر إلا في سنة ١٩٢٩ ،
ومعنى ذلك أنها كُتبت نحو عشر سنين !

أريدون الحق ؟

لقد نُسبت تلك القصيدة في ذلك الوقت إلى جماعة من الشعراء
منهم الأستاذ محمد المراهوي ، ولم ير حافظ أن يصحح النسب ،
لئلا يقال أو يقال ! !

هزائمه فظيمة !

بعد عودة شوقي من منفاه حاول أن يتصل بالقصر من جديد ،
فحَبَّرَ القصائد الطوال في مدح الملك فؤاد ، ولكنه نسي أن الملوك
لا يعرفون غير القلب البكر ، فهم لا يأمنون بمن استأنسوا
لسوام في أحد المهود

كان الملك فؤاد غاية في الجبروت العقلي ، وكانت عيناه أحد
من عيني النسر الظالم ، وكان يجب أن يكون عرش مصر أعظم
العرش ، ولهذا يجل بالرتب والألقاب ، إلا أن تكون جزاء
على خدمة قومية تستحق التمجيد

وكان للشاعر شوقي تاريخ في شؤون الرتب والألقاب ، فصد
عنه الملك فؤاد ، ولم يجِدْ عليه بأى انعطاف

وهنا سنحت الفرصة للشاعر حافظ ، فاذا صنع ؟

ثم ماذا ؟

ثم كانت القصيدة التي أُلقيت في الاحتفال بافتتاح الجامعة المصرية بعد أن قرئت بمحافل الأورمان قصيدة شوقي لا قصيدة حافظ ، وهذه الشؤون توارىخ يضيق عنها هذا الحديث أما بعد فقد يرى قوم أن هذا كلام لا يفيد ، وهل اتفقنا على المراد من الكلام المفيد ؟

إحفظوا هذا الكلام ، فسينفع يوم تفكرون في تأريخ الأدب لهذا الجيل

سيأتي يوم لا تعرفون فيه كيف استطاع شوقي أن يمدج الزعم سعد زغلول فيقول :

فإن شئت فأورض وإن شئت دغ

فأنت الحقوق وميزانها

مع أن شوقي نفسه حدثني مرتين أن بينه وبين سعد أحقاداً ورات ، ومع أن له أهاجى في سعد زغلول ، أهاجى لم تُنشر ، وفي الذاكرة منها أشياء

هادن شوقي سمداً لأسباب « انتخائية » يعرفها نسيبه حامد بك الملايلي

وتصافى حافظ مع سعد ليصرع غريمه شوقي وخلاصة القول أن هذين الشاعرين كانا على جانب من فيض الحيوية ، وبهذا الفيض سيطرا على الجيل الجديد هل تعرفون قصيدة شوقي في عرابي ؟

وهل تعرفون ما طوى حافظ وشوقي من الفصائد السياسية ؟ ستلوح فرصة قريبة لتسجيل تلك الطرائف قبل أن تضع ، قللتاريخ الأدبي حقوق ، والجهل بالتاريخ الأدبي أخطر من الجهل بالتاريخ السياسي ، لأن الأدب هو التعبير الصحيح عن ضمائر الشعوب ذلك مبارك

أن يرجع إلى القصر قبل إعباد أية حفلة يشرتها الملك ، فدعى حافظ إلى مقابلة نشأت باشا ، وكُلف إعداد قصيدة يلقيها في حضرة الملك فؤاد يوم الاحتفال

لن أنسى أبداً فرح شاعر النيل بذلك التكليف ، ولن أنسى أنه غفاني أجل غناء في أيام لطف لم تمد عليه بنير العذاب ، كما سترى بعد لمحات

كنت في ذلك العهد موظفاً بدار الكتب المصرية ، وكان حافظ يُشرف على القسم الذي أعمل فيه إشرافاً روحياً ، فكان يدعوني كل يوم إلى سماع باجدة من القصيدة الجديدة ، وكان يصرح بأنها اختتام لحياته الشعرية ، وأنه لن ينظم بعدها أي بيت

كان الخاطر جيلاً ، ومن الير بحافظ أن نسجل ذلك الخاطر الجليل

الجامعة المصرية الحديثة في قصر الزعفران ، وقصر الزعفران يجاور « عين شمس » وفي « عين شمس » كانت الجامعة المصرية القديمة التي تخرج فيها فلاسفة اليونان وعلى هذا الورد غنى حافظ وأجاد النناء

ولكن الأقدار أرادت غير ما أراد حافظ ، فثارت مشكلة حول قصر الزعفران ، مشكلة قوى غبارها سعد باشا زغلول وهو رئيس مجلس النواب

قصر الزعفران من قصور إسماعيل ، وهو يوم ذاك من أملاك الخاصة الملكية ، فوالذي تقدم الحكومة من أملاك الدولة في المبادلة بذلك القصر الخاص ؟

كانت الحكومة ترى أن تقدم حديقة الأرماني لتجعل منها الخاصة الملكية « مربوط خيل » ، فرأى فريق من رجال الأمة أن هذا البديل غير مستساغ ، وأن الأفضل أن تكون مباني الجامعة في حدائق الأرماني

وبهذا ضاعت قصيدة حافظ ، وتهشم خاطره الجليل !

فأين قصيدة قصر الزعفران ؟ أين أين ؟

قسّمها حافظ إلى مقطوعات باختلاف ما دارت عليه من الموضوعات ، ونشرت له جريدة البلاغ في الصفحة الأولى من صفحات سنة ١٩٢٦ مقطوعة بعنوان « بنى وطني » ارحمك الله يا حافظ ، فقد حالفتك الشقاء إلى آخر الزمان !

حكم في اللجنة العسكرية ٨٧٦ للناسنة ١٩٤٢ بمجلة ١٩-٨-١٩٤٢
بفرض درويش على ساقولا عشرين جنيها والمصادرة والطق أسبوع ليه
سكرا بأزيد من النيرة

حكم في اللجنة ٩٣٤ عسكرية للناسنة ١٩٤٢ بمجلة ٢٨-١٠-١٩٤٢
بحسب شحاته معوض بقال بيندر النبا شهرام مع النفل وفرامة ١٠ جبه
وغلق محله أسبوع وذلك لامتناعه عن بيع السكر بالنسبة